المملكة: ٧٥ عامًا على الـ
الملك عبدالعزيز أقام دول

إعداد : صالح سليمان

كان أهل هذه البلاد ومعهم العرب جميعاً على موعد مع التاريخ في ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ (الموافق ٢٣ سبتمبر عام ١٩٣٢م) حين سجل ذلك اليوم حدثاً بالغ الأهمية والفرادة هو توحيد جزيرة العرب وتأسيس المملكة العربية السعودية على يد الموحد الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - الذي أرسى دعائم هذه الدولة الموحدة الفتية بعد رحلة جهاد طويلة بدأت بدخول الملك المؤسس ورجاله الأفذاذ مدينة الرياض عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) إلى أن دانت له أجزاء الجزيرة كلها وتوحدت المملكة العربية السعودية في يوم خالد من أروع الأيام يزهو به تاريخ المملكة العربية السعودية وهو يوم السبت الثالث والعشرين من سبتمبر عام ١٩٣٢م وهو ما أصبح يعرف باليوم الوطني للمملكة العربية السعودية.

ـــــوحدة والتأسيس

ـــــة قوية.. وأبناؤه الملوك أكملوا المسيرة

اليوم الوطني ذكرى تضيء ذاكرة الوطن والمواطن بواحد من أهم الإنجازات التاريخية في المنطقة وهو تأسيس المملكة العربية السعودية.

لقد اســتطاع الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - خلال رحلة جهاد طويلة وشــاقة اســتمرت أكثر من ثلاثين عاماً أن يقيم دولة عظيمة مترامية الأطراف معتمداً في ذلك على الله ثم على ما وهبه إياه من شجاعة وإقدام ودهاء استقرت في قلب قائد وزعيم مؤمن بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبوعد ربه بنصر المؤمنين فحقق لشعبه الأمن والأمان والرخاء والاستقرار.

دولة دستورها القرآن

لقد أقام الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - دولة تتخذ من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم دستوراً لها ومن خدمة حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسوله عليه الصلاة والسلام شرفاً لها.. دولة قوية متماســكة الأركان شامخة البنيان منيعة الجانب يسودها الأمن والعدل والسلام والاستقرار.

وبعد أن رسم الملك المؤسس حدود مملكته من الخارج وشفعها بالتأييــد الدولي التفت بعــد ذلك إلى تنظيم مملكته من الداخل ليرتقي بها في معارك التنمية والنهضة الحضارية، فوضع برنامج عمل اقتصادي واجتماعي اطلق عليه نظام (الهجر) وهدفه تحويل مجتمع البادية إلى مجتمع مســتقر آمن ينعم بالســلام والرغد. وأول هذه (الهجر) كان في الأرطاوية (١٩١٢م) ثم انتشرت حتى بلغت ١٢٢ هجرة موزعة على كل أنحاء البلاد. وبهذه الطريقة تم توطين ما لا يقل عن ١٢ قبيلة يقدر عددها بنحو ٧٧ ألف نسمة، وكان لكل (هجرة) مدرسة تكافح الأمية وتعلم أبناء القبيلة أصول الدين والقراءة والكتابة. ثم أمر باســتخدام السيارة مكان الجمل

الشعب السعودي بايع مليكه وولي عهده لتستمر مسيرة الخير والنماء

في عمليات النقل، وبإنشاء خط سكة حديد يربط العاصمة الرياض بالمنطقة الشرقية، وأمر بالتنقيب عن المياه لإرواء المناطق العطشى، وانتقل بعد ذلك إلى حك الخاتم السحري وهو التنقيب عن النفط، وأجرى عقود منح امتيازات التنقيب مع عدد من الشركات الأمريكية.

الأمن الإنساني والأمن الاقتصادي

وهكذا جمع بين الأمن الإنساني والسياسي من جهة، والأمن الاقتصادي والاجتماعي من جهة ثانية، وقد تم اكتشاف البترول في المنطقة الشرقية من المملكة عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م وجرى تصدير أول شحنة من البترول الخام للعالم يوم ١١ ربيع الأول عام ١٣٥٨هـ الموافق أول مايو ١٩٣٩م ومقدارها ١٠ آلاف برميل.

وتشاء ظروف الحرب العالمية الثانية التي أطلق شرارتها أدولف هتلر في ذلك العام، أن توقف إنتاج النفط ليعاود الملك عبدالعزيز أمر ضخه عام ١٩٤٤م بمقدار ٢٠ ألف برميل يومياً، ومع نهاية عام ١٩٤٩م وصل الإنتاج إلى ٥٠٠ ألف برميل يومياً.. وهكذا اشرأب المارد الاقتصادي السعودي.

وإذا كان توحيد المملكة وتأسيسها هو أعظم إنجاز في تاريخ المنطقة قام به الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - فإن الملك المؤسس لم يتوقف عند هذا الإنجاز العظيم بل قاد حركة تنموية وإصلاحية غير مسبوقة ووضع نواة مجتمع جديد ونشر الطمأنينة ومنع الجريمة وقضى على أسبابها، يكفيه فخراً أنه فتح الأبواب

الملك المؤسس أرسى دعائم دولة قوية بعد رحلة جهاد طويلة وشاقة وحَد فيها أجزاء المملكة.

التي ظلت موصدة أكثر من عشرة قرون ليتصل شعبه بالعالم، ولقد وجد في المناطق التي وحدها مجتمعات متفاوتة في التقدم، متفاوتة في مفهوماتها الحضارية، فلم يوقف عجلة تقدم المتقدم بل ساعد على دورانها ودفع بالمناطق شبه المتخلفة لتلحق بالمتقدمة دون أن يفقدها خصائصها ومميزاتها الموضوعية.

وقد جلب الملك المؤسس - رحمه الله - إلى بلاده كل وسائل التطور والبناء وحقق الكثير من الإنجازات في شتى مجالات المواصلات والصحة والتعليم والتوطين وتوفير متطلبات الاستقرار الحضري.. وعمل للكشف عن البترول والمعادن الدفينة في مملكته ونادى بقلب باطن الأرض لاستخراج كنوزها ليقلب الفقر في مجتمعه إلى غنى..

ووضع الملك المؤسس - رحمه الله - أول نظام للعمل والعمال.. أوجد نظماً حديثة مستوحاة من التعاليم الإسلامية ووضع نواة نظام حكم جديد ثم طوره وأوجد نظام الوزارة ومجلس الوزراء.. كما ركز أسس تعليم الشعب مجاناً وتطبيبه مجاناً وتقديم الدواء له مجاناً وإدخاله المستشفيات العالمية في الحالات المستعصية مجاناً.. أوجد نظام الترغيب في التعليم عندما أعطى كل طالب

خادم الحرمين الشريفين يضع حجر الأساس لمشروعات الجبيل

يدرس داخل المملكة أو خارجها راتباً شهرياً بالإضافة إلى تأمين المدرسة والكتاب ليوجد لبلده الكفاءات الإدارية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والهندسية والطبية وغيرها.

إلى جانب ذلك كله فلقد أسهم الملك عبدالعزيز في تأسيس الجامعة العربية ونادى بالتعاون العربي والتضامن الإسلامي واشترك في منظمة الأمم المتحدة كعضو مؤسس، وكانت له مواقف مشهودة في كثير من الأحداث العالمية وساعد حركات التحرر من الاستعمار في كل بلد عربي وإسلامي ورعاها ودعا إلى استقلال البلاد العربية والإسلامية وناهض الاستعمار ونازل الصهيونية.

أسس قيام المملكة

ولقد حرص الملك عبدالعزيز على إنفاذ منهجه الإسلامي في الحكم والمجتمع الذي يقوم على أساسه كيان المملكة العربية السعودية ويستند إلى عدد من الركائز أهمها:

- التمسك بعقيدة التوحيد.
- تطبيق شرع الله الذي يحافظ على الحقوق ويحقن الدماء وينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم.
- جعل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة من أعظم وظائف الدولة وأهمها.
- توفير مناخ اجتماعي وفكر عام ينبذ التطرف وينهى عن المنكرات ويحث على الخير ويشجع عليه.
- تحقيق الوحدة الوطنية على أساس من الوحدة الإيمانية والتجرد إلى الله في القول والعامل.
- توفير الرخاء للشعب والأخذ بأسباب التقدم وتحقيق النهضة الشاملة التي تيسر حياة الناس وترى مصالحهم في ضوء هدى الإسلام ومقاييسه.
- تحقيق الشورى التي أمر الإسلام بها وتعزيز مرتكزاتها في الحكم.
- بقاء الحرمين الشريفين مطهرين للطائفين والعاكفين والركع السجود كما أرادهما الله بعيدين عن كل ما يحول دون أداء الحج والعمرة والعبادة على الوجه الصحيح وأن تؤدي المملكة هذه المهمة قياماً بحق الله وخدمة للأمة الإسلامية.
- الدفاع عن المقدسات وحماية الوطن وسلامة المواطنين.

المملكة اتخذت منذ بداية التأسيس القرآن دستوراً لها، ومن خدمة الحجاج والزوار والعمار شرفاً تعتز به ومسؤولية تنهض بها.

واهتم الملك عبدالعزيز - وهذا صار طابع المملكة الآن - بالبعد الدولي للمملكة، فأقام مع الدول العظمى أحسن العلاقات، وكانت المملكة من أوائل الدول التي وقعت معاهدة سان فرانسيسكو وعنها انبثق ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م وكان له اجتماعان تاريخيان، واحد على ظهر بارجة أمريكية اسمها (كوينسي) مع فرانكلين

نهضة صناعية كبيرة تشهدها المملكة

روزفيلت، وآخر داخل فندق سميراميس في القاهرة خلال العام نفسه مع رئيس وزراء إنجلترا ونستون تشرشل، ولعل سرد قصة حياة الملك عبدالعزيز لا يكتمل دون الإشارة إلى تعاطفه ودعمه وتأييده لمصالح البلدان العربية التي كانت واقعة تحت السيطرة الاستعمارية إذ ذاك وخاصة القضية الفلسطينية المرتبطة ارتباطاً لا تنفصم عراه مع تاريخ العالم العربي كله خلال الجزء الأكبر من هذا القرن لا سيما منذ وعد بلفور سنة ١٩١٧م.

وكان على اتصال مستمر بالدول الأوروبية وبالقادة العرب من أجل هذه القضية، كما كان دائماً يقدم النصح لحلها ويطالب الغرب باسم الفلسطينيين بإعادة حقوقهم المشروعة لهم.

واستطاع الملك المؤسس - يرحمه الله - أن يبني علاقات قوية أولاً مع أشقائه العرب والمسلمين ثم مع الدول الصديقة وأدت المملكة دوراً فاعلاً في دعم القضايا العربية والإسلامية ووقفت إلى جانب حقوق العرب والمسلمين في كل مكان ودعمت بالمواقف والمال اخوانها المحتاجين وأسهمت بقوة في إرساء السلام والعدل الدوليين.

المملكة والتضامن الإسلامي

وكان الملك عبدالعزيز أول حاكم إسلامي في هذا القرن الميلادي يدعو إلى التضامن الإسلامي ويحث المسلمين على التعاضد والتكاتف فدعا - حتى قبل تأسيس المملكة العربية السعودية -إلى أول مؤتمر إسلامي في تاريخ المسلمين عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)، حيث كانت البلدان العربية والإسلامية عدا المملكة العربية السعودية ترزح تحت نير الاستعمار والاحتلال فكانت المملكة عوناً لكل بلد عربي وإسلامي في سعيه للحرية

الملك عبدالعزيز بعد أن رسم حدود دولته وترجل عن صهوة جواده بدأ معركة أخرى طويلة من أجل التنمية والنهضة الحضارية وتوفير الراحة والرخاء لشعبه.

والاستقلال تمده بالدعم السياسي والمعنوي والمادي. ويمكن القول إن تاريخ معظم الدول العربية الإسلامية المستقلة يتضمن دوراً سعودياً تبنت فيه المملكة العربية السعودية قضاياها ودافعت عنها وسعت إلى استقلالها.

وظل هذا التوجه لتحقيق التضامن الإسلامي من ثوابت السياسة السعودية بدأه الملك عبدالعزيز وسار على نهجه أبناؤه البررة الذين خلفوه في سدة المسؤولية وقيادة البلاد.

وكان إنشاء مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية في مقدمة ما أولاه الملك عبدالعزيز عنايته بعد تأسيسه المملكة فعهد إليه بالنظر في مختلف الشؤون ودراسة الأنظمة قبل صدورها.

كما أحيا الملك عبدالعزيز تقليداً عربياً إسلامياً قديماً هو أسلوب الباب المفتوح، بمعنى أن الملك يفتح أبوابه في مواعيد محددة ليأتي من يريد من المواطنين ويحضروا مجلس الملك وولي عهده، ويلتقي في هذا المجلس الحاكم بالمحكوم والراعي بالرعية. ويعتبر هذا الأسلوب من أساسيات النظام السعودي وهو تعبير عملي وتطبيق واقعي لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الحاكم وشعبه والراعي ورعيته. وظل الباب المفتوح علامة مميزة للحكم في المملكة العربية السعودية وسياسة متوازنة بين الملوك أبناء الملك عبدالعزيز - يرحمه الله .

ولقد كان موقف الملك عبدالعزيز من الحضارة الحديثة، موقفاً إيجابياً يدل على الحكمة وبعد النظر، وفي كثير من خطاباته وأحاديثه، ومناقشاته مع زواره الغربيين، كان يدلل على تلك الحكمة والنظرة البعيدة، فهو قد ألم بمعطيات الحضارة الحديثة بمحاسنها ومساوئها، وفرق بدقة بين الجانبين، فاختار ما ينفع بلاده من تلك المعطيات ونبذ النواحي السلبية. فهو في سياق تطلعه إلى تطوير بلاده، ورقيها وتحضرها قد أخذ من تلك الحضارة نواحيها النافعة، وفي ذلك قال:

«لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، فالحكمة ضالة المؤمن، يلتقطها حيث وجدها».

ومن هذا المنطلق، شهدت المملكة عدداً كبيراً من المشروعات النافعة التي كانت موضع الاهتمام الشديد من قبل الملك عبدالعزيز، ومنها على سبيل المثال: الهاتف السلكي واللاسلكي، والبرق، والسكة الحديد، والطائرات المدنية والعسكرية، ومصانع الأسلحة، والسيارات، والمشروعات الزراعية والمائية التي تستخدم الميكنة فيها.

كما أخذت المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بأرقى وأحدث التقنيات الحديثة، ليس بالنقل ولكن بالتوطين حتى باتت فيها صروح تقنية على أرفع المستويات.

وهكذا تتجمع لدينا شواهد التطبيق العملي البناء، لفكرة الدولة الآخذة بشريعة الله، والعاملة في الوقت نفسه على مسايرة روح العصر بتقنيتها المتطورة دون أن يتعارض هذا مع ذاك. فالصورة النموذجية للدولة الإسلامية الحديثة، قد تحققت - بفضل الله - مع قيام المملكة العربية السعودية.

المملكة بدأت مسيرة التطور والنماء في عهد الملك المؤسس وأكمل المسيرة من بعده أبناؤه الملوك حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز.

أبناء الملك المؤسس على خطاه

توفي الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٩٥٣م بعد أن حقق بفضل الله قيام المملكة العربية السعودية في تجربة فريدة من الوحدة والتأسيس قدمت نموذجاً حياً وواقعياً للدولة الإسلامية الحديثة.

وباتت أسس التجربة التي أرساها الملك عبدالعزيز ركيزة لدعائم الدولة أضاف إليها واستكمل مسيرتها أبناؤه الملوك البررة: سعود وفيصل وخالد وفهد - يرحمهم الله -.

وها هو عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز --حفظه الله-- يبدأ وينطلق بعون من الله على خطى الملك المؤسس - يرحمه الله - وقد ظل خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، منذ أن كان ولياً- للعهد، خير سند وعضد لأخيه الراحل الملك فهد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - وشهد هذا العهد الميمون إنجازات حضارية وتنموية عملاقة، ورعى الملك عبدالله بن عبدالعزيز - يحفظه الله - هذه النهضة والنقلة التنموية خطوة، بخطوة. وتظل جهوده - أيده الله - واضحة جلية يعيشها المواطن السعودي في مختلف المجالات وعلى كل الأصعدة الداخلية والخارجية.

وهذه الجهود المباركة لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - يحفظه الله - سنتناولها بالتفصيل في الصفحات التالية التي جاءت بعنوان «مسيرة ملك».